

تجاذبات الفصحى والعامية في منظومة التعليم بالجزائر

الباحث : صالح زيدور

إشراف : الدكتور أحمد بن عجمية

جامعة : أحمد بن بلة (1) وهران

البريد الإلكتروني: zaidoursalah@yahoo.com

ملخص :

تعتبر اللغة الفصحى في كل دول العالم هي لغة التعليم أو بالأحرى هي اللغة التي تتم بها العملية التعليمية والتألي وبالتالي فهي لغة العلم، إلا أنه في الكثير من بلدان تجد لهذه الفصحى عامية لها أو لهجة تتماشى وتتماهى معها فرضتها عوامل وظروف لكنها لا ترقى لأن تكون لغة تعليم أو علم وهذا لعدة أسباب ولعل أهمها كونها لغة محكية شفاهية تفتقر للقواعد العلمية كالكتابة والتأليف، وكذا استعمالها في إنتاج مصطلحات الفنون والعلوم وبقيت كذلك، ويستعان بها في إيضاح وإفهام ما أشكل عند الناشئة وعامة الناس، إلا أن هناك من يضمر العداء لهذه اللغة فظهر من يدعو إلى إحلال العامية كبديل عن الفصحى بداعي صعوبة فهمها وعدم استعابها من طرف المتعلمين لشدة وصلابة القواعد الضابطة لها، إضافة إلى الكثير من الدواعي لعل أهمها أنها في نظرهم السبب في التخلف الذي تعيشه الأمة زعما منهم أنها جامدة ليس لها مقومات التطور ومسايرة الركب الحضاري والتقدم التكنولوجي .

الكلمات المفتاحية : التعليم ; العلم ; التعليمية ; اللغة ; اللهجة ; الفصحى ; الفصاحة ; العامية .

تعيش المنظومة التعليمية في الجزائر صراعا حادا بين دعاة توظيف العامية في العملية التعليمية وبين دعاة الفصحى وهو الذي عليه التعليم قائم في جميع دول العالم وهو التدريس باللغة الفصحى (الوطنية الرسمية) للدولة وقد تولد هذا الصراع نتيجة عدة أسباب منها ما هو موروث ومنه ما هو جديد أو مستحدث فرضته الظروف والعوامل الخارجية بداعي من الدواعي كالعولمة و غيرها، لكن الصراع الذي طال الناشئة أكبر من ذلك بكثير له أبعاده السياسية الممزقة لكيان الأمة وتفتيتها بزرع اللهجات كلغات بديلة عن الفصحى الموحدة للأمة والمحافظة عليها، ومنه يمكن طرح الإشكال التالي ما هي أسباب ودوافع التي عجلت في طرح البديل عن الفصحى وما الداعي إلى ذلك بالرغم من وجودها أي العامية جنبا إلى جنب منذ أمد بعيد دون صدام بل كان يكمل أحدها الآخر في عملية التوصل .

مفهوم الفصحى لغة و اصطلاحا :

. تعريفها لغة : الفصاحة في لسان العرب: " فصح :الفصاحة: البيان، وتقول رجل فصيح و غلام فصيح أي بليغ، ولسان فصيح أي طليق¹

أما في معجم مختار الصحاح: "ف ص ح رجل(فصيح) و غلام فصيح أي بليغ، ولسان فصيح أي طليق ويقال :كل ناطق فصيح وما لا ينطق فهو أصم...الخ²

ويتضح من هذا أن الفصاحة هي : طلاقة اللسان في التعبير دون أي عقدة.

. اصطلاحا : للفصاحة العديد من التعاريف منها:

الفصاحة هي : "طلاقة اللسان أي الخلو من عقدة اللسان و يؤكد ذلك ما جاء في القرآن أيضا قوله تعالى : ﴿ قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّنْ لِّسَانِي ﴾ سورة طه 25، 26، 27³.

كما للفصاحة علاقة بالعرب و القرآن فهي " أول لغة استخدمها العرب في حياتهم وعرفت بهم و عرفوا بها ،إنها اللغة التي نزل بها القرآن وسعت كل أحكامه و قواعده وقوانينه و علومه ، إنها لغة العقيدة و الدين الإسلامي "⁴.

واللغة الفصحى " هي التي توافق المشهور من كلام العرب وسلمت من اللحن والإبهام وسوء الفهم "⁵.

ومن هذه التعريفات نرى أن الفصاحة هي قدرة الفرد على التعبير عن شيء بكل بساطة وطلاقة و وضوح.

. تعريف العامة :

تشتمل العامة على عدة التعاريف نذكر منها:

"هي اللهجة المنطوقة في عصرنا الحالي المنحدرة من الفصحى ،المنطوقة بها في عصر الفصاحة العفوية ولهجاتها وأصابتها تغيرات كثيرة بعد اختلاط العرب بغيرهم ،كسقوط الإعراب في جميع الأحوال وغيرها ،لأن لغة التخاطب اليومي في النثر عرضة للخطأ بخلاف لغة التحرير وبالتالي هي أسرع المستويات إلى التحول البنيوي من لغة الكتابة ،وقد احتلت مكانه الفصحى في تبليغ الأغراض اليومية وفي التعبير الاسترسالي "⁶.

ومنه فالعامة: "هي الجانب المتطور للغة الذي يشمل البعد عن اللغة الأم "⁷.

من خلال هذه التعريفات نجد أن العامة هي اللغة التي يتعامل بها أفراد شعب معين في حياتهم اليومية للتعبير عن أغراضهم.

. الأسباب والدوافع تفعيل العامة كبديل عن الفصحى :

تشهد اللغة العربية الفصحى حريا ظروف بلغت الوقاحة بأعدادها إلى الحد المطالبة بتغيير الكتابة باستخدام الحرف اللاتيني مكان الحرف العربي .

وهذا يرجع أولا و أخيرا في الكيد للغة العربية الفصحى كونها:

1- لغة القرآن الكريم.

2- لغة السنة النبوية.

3- لغة التراث العربي الإسلامي بشكل عام.

وكان للمغرب العربي نصيب من هذه الدعوة ،" فقد أصبحت اللغة العربية لغة ثانية بعد الفرنسية لغة المستعمر، وجاء في تقرير أعدته لجنة العمل المغربية الفرنسية : إنَّ أول واجب في هذه السبيل هو التقليل من أهمية اللغة العربية، وصرف الناس عنها، بإحياء اللهجات المحلية واللغات العامة في شمال إفريقيا"⁸.

وهذا ما حدث في الجزائر "فقد وضع علماء الاستعمار من المستشرقين كتباً في قواعد اللهجات الأمازيغية لتزاحم العربية، يقول (شهادة الخوري): شعر المستعمر باستحالة اقتلاع اللغة العربية من أرض الجزائر، وغرس اللغة الفرنسية

مكاتها، فلهجوا إلى وسيلة مساعدة أخرى وهي الإيحاء لأكثر عدد من أبناء الجزائر بأن اللغة العربية ليست لغة أصلية في الجزائر، وإنما اللغة الأصلية لسكان الجزائر هي اللغة البربرية لغة الأمازيغ، وقد تطوع الفرنسيون لوضع أجنبية لها كيما يمكن كتابتها"⁹.

وهذا هو الهدف من الإطاحة باللغة العربية ليسهل القضاء على روحها وهو الاسلام الحنيف فهي بمثابة الجسد للروح فإذا انهار الجسد وضعف خرجت منه الروح ومات.

وتستمر المؤامرة على اللغة العربية في جميع أقطار الوطن العربي بدءا من أبنائها وصول إلى المندسين بينهم بمختلف اتجاهاتهم وادعاءاتهم لتدميرها من قبل دعاة هذا الفعل الشنيع، وحتى نكون منصفين في إيضاح ما يزعمه هذا التيار من حجج ومبررات في تفضيل العامية على اللغة الفصحى وحتى نبين ذلك قمنا بالتفصيل في هذه الظاهرة وقسمناها إلى اتجاهات عدة بحسب رؤى وفكر كل اتجاه فيما يأتي:

1. تيار دعاة العامية باتجاهيه:

أ. تيار دعاة العامية (الأنثروبولوجي): يعتمد مؤيدو هذا التيار على تلك الخبرات المكتسبة من خلال تعاملاتهم وأداءاتهم التعليمية مع الأطفال ومن خلال معرفتهم بالبيئة التي نشأوا فيها، انطلاقاً من الرصيد اللغوي المبني على اللهجة العامية المحكية لتمييزها بمرونة التركيب وسهولة التعبير، وإن عملية الاستمرار في النمو والتدرج على المنوال الذي يألفه الأطفال يقربهم أكثر من اعتبارات الفهم والإدراك وشحن الهمم، حيث أنه بهذه الطريقة يتم تحفيز التلاميذ على التشويق وزيادة خبراتهم وسهولة تطبعهم في المجتمع العام الذي يمارس ذات اللغة، بعيدة عن قواعد اللغة التي يرونها عائقا في نمو الطفل اللغوي وتطوره، انطلاقاً من فكرة أن النمو اللغوي يكون أسرع في المجتمع اللغوي المؤلف والمعتاد بخلاف عندما يتغير عليه المجتمع أو تتغير لغته كما هو حاصل لدى الطفل في الجزائر عندما يصطدم بالفصحى عند دخوله إلى المدرسة.

وهذا التيار لا يعي خطورة تقوقع المجتمع ضمن لغة محددة (لهجة) لا يعرفها إلا أهلها مما يعرضها إلى الانغلاق والابتعاد عن الوسط الذي تنتمي إليه مما يزيد المجتمع تفككا عن بعضه البعض ودخوله في صراع مع الذات.

ب. تيار دعاة العامية المتشبع بالفكر الغربي (الفرونكفونية والعلمانية): يركز المهتمون بهذا التيار على أرضية تشوبها الرخاوة باعتمادهم التأويلات المقصود منها النيل من اللغة العربية زعما منهم أنها صعبة وجمادة وبقائها على حالها منذ القرون الأولى لشيوعها بحوالي ما يزيد عن 1400 سنة، وإنها لم تعد تؤدي أي نشاط لغوي أو علمي مختلف عن العامية التي تعتبر لغة الحياة اليومية، كما دعموا إدعاءاتهم بأن الأدب يجب أن يكتب باللغة الشعبية (اللهجة العامية) لأنه من رحم المجتمع ويعبر عنه ولا يمكن أن يعبر عن حاله إلا باللغة التي يتعايشون بها ويفهمونها، ومن هذا جاءت الفكرة القائلة بأن يخاطب العامة أو الشعب بلغته التي يفهمها ويدرك بها الأشياء والمألوفة لديه، إضافة إلى العديد من الإدعاءات والكيد من أهمها أن تخلف العرب يرجع بالأساس إلى اللغة في زعمهم لافتقارها لشروط النهضة والتطور من خلال افتقارها للاصطلاحات العلمية مما أضعف الرغبة لدى الإنسان العربي في اكتساب القدرة على التطور والاختراع والاكتشاف ومواكبته للعصر، كل هذه الدوافع وجدت طريقها اليوم إلى الفرد العربي من خلال اضعاف الروح القومية لديه، انطلاقاً من التشكيك في قدرة لغته ومحو رابطة الحب التي يجمعها بها وبالتالي اضعاف روح الأمة وعنصر بقائها و

ديمومتها، وإن عملية الضعف اللغوي يُضعف الشعور القومي ، ومتى ما ضُغف الشعور القومي لدى أمة ما أصبحت تابعة لمن تأثر بهم أفراد مجتمعها مثل ماهو حال مجتمعنا اليوم ، وخير دليل في تشكيك الآخر في لغته وعدم الثقة فيها ما فعله المستعمر مع الشعب الجزائري وفرض لغته والتقليل من شأن العربية بالدعوة لهجر الفصحى والتزام العامية لغة للقراءة والكتابة بحجة صعوبتها وإنها غير مفهومة من قبل الشعب، وقد اتضح من هذه الدعوات تجزئة الأمة العربية قبلاً ثم الشعب الجزائري من خلال اللهجات العامية التي تختلف من وطن إلى آخر ومن جهة إلى أخرى، كما حصل للغة الرومان اللاتينية التي كانت شائعة في أوروبا وتفرعها إلى لهجات وتبينها كلغات متعارف عليها بالإيطالية والفرنسية والإسبانية، وكذلك الحال بالنسبة في اللغات الجرمانية مثل الألمانية والهولندية والنرويجية والدنمركية التي تُحتسب لغات مستقلة بينما هي في الواقع من اللهجات الجرمانية، إضافة للهجات الروسية كالتشيكية والبُلغارية والصربية التي اتخذت طابع اللغات رسمياً بفضل العامل السياسي بعد استقلال تلك البلدان عن روسيا (الاتحاد السوفياتي سابقاً).

وبعد هذا التيار أخطر من التيار الأول لأن هدفه تفكيك الدول بزوع فيرو س العامية حتي يسهل عليه القضاء العربية وبالتالي تجريد الأمة من عامل التوحيد وجعلها في صراع دائم مع الهوية وتصارع الأجيال وبث نغرات الجاهلية من الجهوية وعرقية وقومية... إلخ .

2. تيار دعاة الفصحى : ينطلق من مفهوم الوازع الديني و الإلتزام القومي بالوحدة العربية وأسس القيم التراثية والأدبية والفكرية التي شاعت بلغة موحدة مشتركة وجمعت بين العرب منذ أن جاء الإسلام ، مؤكدين عن ضعف الروابط بين أبناء الأمة الواحدة في حالة ضعف وتشتت اللغة القومية إذا ما تم استعاضتها بالعامية ، وبالتالي ضعف أصحابها ورجالها في مجال الفكر والأدب والسياسة والعلوم الأخرى ، إضافة لافتقاد الصلة بين ماضي العرب و حاضرمهم ، علماً بأن العامية في نظرهم هي ظاهرة مشتركة بين جميع اللغات في العالم ولها لهجات محلية كثيرة، أما اللغة الفصحى فهي مهارة من المهارات التي يكتسبها الإنسان ، صغيراً أو كبيراً ، عن طريق الممارسة والمران كالسباحة والقيادة وغيرها من المهارات، وفيها من أساليب التعبير التي تعجز العامية عن الإتيان بمثلها، لذلك ينبغي أن تتم العملية التعليمية العلمية وفق أحكام لغة القرآن الكريم.

3. تيار (المزوجة) العامية بالفصحى: يرى أصحاب هذا التيار أن الأمر واقع ومحيط بالأطفال ، وذلك باعتماد اللغة المكتسبة لديهم وسيلة للتعليم ، كونها الأقرب إلى نفوسهم والأسهل عليهم ، ولكونها لا تخلو من المفردات الفصيحة و بشكل خاص الأسماء والصفات المتعارف عليها ، إضافة لاحتوائها على المفردات التي شابهها التغيير في اللفظ واعتبارها تبديلاً في التركيب ، رغم أصالتها وشرعيتها اللغوية ، وبفعل تطعيم لغة التعليم بمفردات وعبارات بسيطة واضحة سلسلة خالية من التعقيد يتيسر تهذيب لغة الأطفال وتحييدها عن الألفاظ الغريبة والخاطئة الاستعمال تدريجياً ، فتكون هذه المحاولة نقطة انطلاق لمراحل التدرج في النمو اللغوي السليم لدى الطفل و إثرائه برصيد ينسجم وعمره الزمني والعقلي وتقدمه التعليمي والتربوي. ويرى أصحاب هذا الرأي بأنهم يكونوا قد توصلوا إلى لغة مرنة توسم بالفصحى المتوسطة أو المعتدلة باعتبارها الخطوة الأولى لترغيب وتعويد التلاميذ المبتدئين على تقبل الفصحى ، وإن ما يستوجب هذه الطريقة هو دراسة اللهجات الأكثر شيوعاً والأوسع انتشاراً والأقرب صلة في البلاد العربية ، أي أن يتم جمع الكلمات العربية العامية

والدخيلة و انتقاء ما هو قريب من اللغة الفصحى ليتسنى استخلاص ما هو الأهم والأنسب للتلاميذ والأقرب لخبراتهم بغية وضع منهج تربوي موحد وشامل للمراحل الأولى من المدرسة الابتدائية يتم تعميمه على البلاد العربية بشكل عام لتصبح اللغة الدارجة ولغة الكتب واحدة موحدة كبعض اللغات الحية.

ويعد هذا التيار أكثر اعتدالا من غيره من خلال سعيه إلى التقريب بين الفصحى والعامية وجعل العامية أقرب من الفصحى لغاية تقريب العملية التواصلية في العملية التعليمية بين الطفل والمعلم ، وهو الحاصل في العملية التعليمية التعليمية بحيث يتم التدريس باللغة العربية الفصحى والاستعانة بالعامية في التواصل والإفهام والشرح لتحقيق الهدف العملية التعليمية أو الكفاءة المرجوة حصولها .

إنَّ المحاولات التي تبناها أعداء اللغة العربية كان لها أثر واضح في زعزعة العربية الفصحى من ألسنة العرب ، وأدى ذلك إلى فشو العاميات وانحسار التحدث بالفصحى إلا في مجالات معينة ، ولكن في الآونة الأخيرة توجه الاهتمام باللغة العربية الفصحى في كثير من الجامعات في الدول العربية وهذا بدوره يؤدي إلى تزايد الاهتمام بها بين الدارسين لها، وهكذا توجه الصحف والمجلات إلى الكتابة بها إلى حد ما مع عدم الخلو من الأخطاء التي تحدث في بعض الكتابات ، إضافة إلى ذلك فإن دور أئمة المساجد وعلماء الشريعة الإسلامية في الدول العربية لا يزال الكثير منهم بحمد الله يعظون الناس ويتحدثون معهم باللغة العربية الفصحى وهذا مما يزيد لغتنا الفصحى قوة وشيوعاً وفهماً بين الناس ، فدور المساجد وأماكن العلم الشرعي لا يستهان بها ، حيث أن لها أثراً بالغاً في تعليم اللغة العربية الفصحى نطقاً وكتابة.

.أوجه الاختلاف ما بين الفصحى و العامية:

أوجه الاختلاف بين الفصحى والعامية واضحة جلية و يمكن حصرها فيما يلي:

1. العامية أو اللهجة هي لغة عامة الناس وأغلبهم ، بينما الفصحى تخص الطبقة المتعلمة، وتعتبر اللغة الرسمية المتداولة في المؤسسات العامة والخاصة وهي لغة التواصل فيما بينها.
2. تحرر العامية من القواعد والضوابط اللغوية وهي اللغة المحكية، أما الفصحى فهي مضبوطة بقواعد اللغة من الصرف والنحو ... إلخ.
3. العامية هي مجموعة من اللهجات المختلفة وكل جهة أو منطقة لها لهجتها الخاصة بها مثل اللهجة القبائلية والشاوية والشلمية ، والترقية... إلخ ، بينما تفرض الفصحى نفسها كل البلد لأنها لغة التعليم والإعلام وكل ماله صلة بالشؤون الرسمية للدولة.
4. عند الطبقة التي لها مستوى محدود من التعليم وتحدث بالعامية ولا تقوى القراءة والكتابة، تجد صعوبة في التحدث بالفصحى لعدم التعود عليها وممارستها.
5. العامية فقيرة من حيث المصطلحات العلمية والفنية وما تعلق بمستلزمات التطور ومسيرة الريبك الحضاري والتقدم التكنولوجي أما الفصحى فلها من المعاجم والقواميس ما يجعلها أهلا لصناعة أو وضع أو تعريب أو ترجمة من المصطلحات وتيسيرها لاستعمالها وضرورة انسجامها مع متطلبات مناهج البحث العلمي والعلوم المستحدثة.
6. ندرة المترادفات في العامية ، وغنى الفصحى بالمترادفات.

7. قلة التدوينات والمنشورات بالعامية سواءً المخطوطة أو المطبوعة، عكس اللغة الفصحى .
8. لا وجود للمعاجم والقواميس في العامية ، أما الفصحى ففيها مالا يحصى ولا يعد من المعاجم و القواميس.
- . واقع العامية في العملية التعليمية في الجزائر: العامية هي لغة التواصل عند المواطن الجزائري التي يعبر بها عن قضاء حاجاته وأغراضه ، وهي لغة الشارع في أبسط وأيسر أحوالها ، تختلف من منطقة إلى أخرى وتتعدد حسب الجهة والمكون ، وهي لغة شفاهية يكتسبها الطفل من والديه يصطدم عند دخوله إلى المدرسة بالفصحى مما يجد صعوبة في تلقيها وهذا حكم عام إلا أننا نشهد اليوم بعض التغير خاصة عند العوائل المتعلمة أو بالأحرى المثقفة بعلم أولادهم و اكسابهم اللغة الفصحى حتى بالكاد لا يعرف العامية والظاهرة في توسع ملحوظ ، وهذا لا يقضي العامية من العملية التواصلية أو التعبيرية بشكلها العام والأخص في العملية التعليمية حيث نجد للعامية حظا من الفصحى حيث يستعين بها الأستاذ لتوصيل الفهم والشرح للتلاميذ وهذا موجود في جميع الأطوار التعليمية و حتى في الجامعة باعتبارها اللغة الشائعة التي يلجأ إليها لغرض التبليغ والإفهام . ولتبين ذلك نعتد الخصائص المشتركة التي تجمع بين العامية و الفصحى في العملية التعليمية في الجدول الآتي :

العامية	الفصحى	
+	+	شفاهة (تعبيرية)
-	+	الكتابة (الخط أو الرسم)
-	+	القراءة
+	+	التواصل
-	+	التعليم
+	+	الشرح
+	+	الفهم
+	+	التفاعل
-	+	التأليف

نلاحظ من خلال الجدول أن العامية لها حظ وافر في العملية التعليمية لا تحتاج إلى تقنين لإيجادها ضمن العملية لأنها تتماشى جنباً إلى جنب مع اللغة الفصحى وهي اللغة المساعدة للغة التعليم في كل دول العالم .

من خلال هذا فإن اللغة العربية الفصحى هي اللغة العلمية التي تتم بها عملية التدريس في المدرسة على العموم بغض النظر عما يشوبها من تجاوزات أو مصطلحات بلغات أخرى ، وتبقى العامية للاستعانة بها في توضيح المفاهيم وتبسيط المعارف والشرح والتواصل وغيرها من العمليات التي تستدعي استخدامها وهذا ما يؤكد صلة العامية باللغة العربية الفصحى على مر التاريخ .

قائمة المصادر والمراجع :

القرآن الكريم برواية ورش عن نافع

¹ - ابن منظور، لسان العرب تحقيق: عبد الله على الكبير و آخرون ،دار المعارف ،كورنيش النيل القاهرة ، ط 1 ، ج 3 ، مادة ف ص ح ، ص 3419.

² - الرازي، مختار الصحاح ، ، رتبة محمود خاطر، دار الفكر، بيروت لبنان، د ط ، 2006 ، مادة ف ص ح، ص 211 .

- ³ - عبد الرحمن الحاج صالح، السماع اللغوي عند العرب و مفهوم الفصاحة ، موضح لنشر، الجزائر ، د ط ، 2007 ، ص 53 .
- ⁴ - إبراهيم كايد ، العربية الفصحى بين الازدواجية اللغوية و الثنائية اللغوية ، المجلة العلمية لجامعة الملك فيصل، المجلد 3، العدد 1 ، 2002 ، ص 61 .
- ⁵ - محمود عكاشة ، علم اللغة مدخل نظري في اللغة العربية ، دار النشر للجامعات، القاهرة ، ط 1، 2006 ، ص 96 .
- ⁶ - ينظر كريمة أوشيش ، أثر اللسانيات في النهوض بالمستوي اللغة العربية، التداخل اللغوي في اللغة العربية، شهادة ماجستير ، 2003/2002 ، ص 42.
- ⁷ - ابراهيم كايد ، العربية الفصحى بين الازدواجية اللغوية و الثنائية اللغوية ، ص 54.
- ⁸ - ينظر محمد محمد حسين، الاتجاهات الوطنية في الشعر العربي المعاصر ، ج 2، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة 7، 1984، ص 365.
- ⁹ - ينظر عبدالعزيز بن سعد الدغيث، دعوات هدامة للغة القرآن مقال على الرابط: <http://www.saaaid.net/Doat/aldgithr/30.htm>